Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 42:1 (2007)

صيغ الفعل "حَكَمَ" ودلالاتها التربوية في القرآن الكريم

محمود سلامة الحياري

الملخص: صيغ الفعل "حكم" ودلالاتها التربوية في القرآن الكريم:

تهدف هذه الدراسة إلى إثبات قدرة مفردات القرآن الكريم على الحركة وأن مفردات القرآن جاءت نمطاً واحداً في إبداعها وإعجازها، تتناول قضايا هامة وموضوعات مختلفة وفي مجالات كثيرة. ولقد تناول الباحث الفعل "حكم" وتصريفاته في القرآن الكريم، وبعد تقصي معانيها والمجالات التي تحركت فيها وجد أنها تضمنت دلالات كثيرة، كان من أبرزها الدلالة العقدية والدعوية والتربوية ودلالات العلم والقضاء والعدل فيه. وقد حدد الباحث دراسته في الدلالات التربوية، ولدى البحث في معاجم اللغة وكتب التفسير تبيّن للباحث أن صيغ الفعل "حكم" تناولت الإيمان بالله في مجالات مختلفة، كما تناولت العلم والإصابة في القول والفعل والسلوك المرغوب فيه وأسس دعوية، وخلص الباحث أن تصريفات الفعل "حَكَمَ" تناولت العناصر الرئيسية للعملية التربوية بصورة واضحة وكافية.

الكلمات المفتاحية: صيغ الفعل، الدلالات التربوية:

لقد أحدث القرآن الكريم أعظم انقلاب في البشر بتأثيره في أنفس العرب، لقد أثار القرآن في قارئه وفي سامعه إحساساً استشعر به قيمته كإنسان، ودوره في صناعة الحياة، وأدرك المسلم في زمن نزول القرآن أكثر من أي زمن لاحق أن في القرآن منهجاً كاملاً للتربية، وتوجيهات تربوية مستندة إلى أسس واضحة، خرّج الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه التوجيهات وبالحكمة التي آتاها الله إياه، خير أمة أخرجت للناس. يقول الأستاذ محمد قطب: "إن في القرآن توجيهات تربوية كثيرة، وأن الإنسان حين يتدبرها ويتأثر بها، يصبح له سلوك معين وتفكير معين، يصبح أقرب إلى الصلاح وأكثر

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

إنسانية، هذه التوجيهات تشكل منهجاً متكاملاً للتربية الإسلامية، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الترجمة الواقعية للقرآن الكريم والنموذج الحي للتربية الإسلامية، ومنهج التربية الإسلامية متميز بأصوله ومنهج تفكيره، وإن التقى بالمناهج الأرضية في بعض التفصيلات وفي شيء من طرائق تدريسه وأساليب تعليمه، وهو فريد في أثره في داخل النفس وفي صناعة الحياة وواقعها"(١).

والقرآن الكريم مصدر هذه التوجيهات التربوية، يتكون من حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاماً وأوزاناً، ولكن الفرق بين صنع البشر وصنع الله من هذه الحروف والكلمات هو مثل الفرق بين الجسد والروح، قال الله تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ**﴾(٢). فالألف واللام والرا حروف من القرآن الكريم، منها ومن مثلها تم تأليف القرآن، وهي حروف في متناول المخاطبين به، ولكن مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملك المخاطبون به من العرب وغيرهم أن يصوغوا مثله، فجاءت آياته قوية البناء، دقيقة الدلالة، كل كلمة فيها وكل عبارة مقصودة، وكل معنى فيها وكل توجيه مطلوب، وكل إشارة ذات هدف معلوم، جاءت آياته متناسقة لا اختلاف فيها ولا تضارب.

ولقد أحدث القرآن الكريم تأثيراً هائلاً في معاني ألفاظ اللغة العربية، من حيث تهذيبها وترقيق حواشيها، ومن حيث الألفاظ المشتركة والاصطلاحية، لقد جاء القرآن بمعانٍ لم يكن العرب يعرفونها، وبدلالات روحها من روح هذا القرآن، فزادت اللغة بهذه المعاني والدلالات نماءً وجمالاً.

يقول الأستاذ عدنان محمد زرزور: "يمتاز الأداء القرآني أن النص الواحد يحوي مدلولات متنوعة متناسقة، وكل مدلول منها يستوفي حظه من البيان والوضوح، دون اضطراب في الأداء، أو اختلاط بين المدلولات، وكل قضية وكل حقيقة تنال الحيز الذي يناسبها، بحيث يستشهد بالنص الواحد في مجالات شتى، ويبدو في كل مرة أصيلاً في الموضع الذي استشهد به فيه، وكأنما هو مصوغ ابتداء لهذا المجال، ولهذا الموضع، وهي ظاهرة قرآنية بارزة لا تحتاج منا إلى أكثر من إشارة إليها"(٣).

١- محمد قطب، **مناهج التربية الإسلامية**، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م، ط ٢، ج ١، ص ٧.

٢- سورة هود، الآية: ١.

٣- عدنان محمد زرزور، **علوم القرآن ـ مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه**، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م، ط ٢، ص ٢٥٨.

والنص القرآني قد يحوي أكثر من مدلول في نسق واحد، قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ** ﴾(٤)، فتلاوة القرآن الكريم، وتعليم آياته، ومعرفة أحكامه ومقاصدها، والتربية في هذه الآيات، مدلولات ذات صلة ببعضها، فالتربية على الأعمال الصالحة، وعلى الفضائل هي نتيجة اقتران التعليم بالتربية، ويكون التعليم بذلك فعّالاً وله قيمته، ويكون لمعاني هذه المدلولات قيمتها في إصلاح الأمم وإسعادها.

يقول الأستاذ سيد قطب: "بمثل هذه المعاني التقط القرآن أناساً من البيئة العربية التي لم تكن تعلم إلا أشياء قليلة متناثرة تصلح لحياة القبيلة في الصحراء، أو في تلك المدن الصغيرة المنعزلة في باطن الصحراء، فجعل منهم أمة تقود البشرية قيادة حكيمة راشدة خيرة بصيرة عالمة، وكان هذا القرآن مع توجيهات الرسول المستمدة كذلك من القرآن، هي مادة التوجيه والتعليم، وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتلى فيه القرآن والتوجيهات المستمدة من القرآن هو الجامعة الكبرى التي تخرّج فيها ذلك الجيل الذي قاد البشرية تلك القيادة الحكيمة الراشدة"(٥).

والباحث من الذين يرون أن القرآن الكريم الذي خرّج ذلك الجيل وتلك القيادة على استعداد لتخريج أجيال وقيادات على مدار الزمان، فهو كتاب فصّلت آياته تفصيلاً محكماً وفق الأغراض والأهداف، ووفق الطبائع والعقول، ووفق البيئات والعصور، ووفق الحالات النفسية وحاجاتها المتنوعة، ووفق هذه الاعتبارات فصّل القرآن الكريم لقوم يعلمون، لقوم لديهم الاستعداد للعلم والمعرفة والتمييز، وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿ **حمَ تَنْزِيْلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ بَشِيْراً وَنَذِيْراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُوْنَ** ﴾(٦). ولقد كان القرآن منذ نزوله مجال اهتمام العلماء والباحثين، فبحثوا في جوانب شتى من القرآن الكريم، ولكن هذا القرآن لا تنقضي عجائبه ولا تفنى مكنوناته، ويبقى مجال البحث فيه وفي علومه مفتوحاً لكل من أراد أن ينهل من هذا المعين الذي لا ينضب.

ومن هنا اختار الباحث إحدى مفردات القرآن الكريم وهي "حكم" وعمل على استقصائها والبحث فيها ليؤكد أن الأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة، استوفى كل مدلول

٤- سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

٥- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار المعرفة، بيروت،١٩٧١م، ط ٧، ج ١، ص ٤٥٨.

٦- سورة فصّلت، الآيات: ١-٤.

فيه حقه من سعة المدلول وجمال التعبير ودقته، وأن نظم القرآن وتركيبه جاء نمطاً واحداً في القوة والإبداع، يستحيل على البشر أن يعبروا بالألفاظ التي تدور على ألسنتهم عن هذه القضايا بسعة المدلول ودقة التعبير وجماله.

سبب اختيار هذا الموضوع:

أن مفردة "حَكَمَ" وصيغها في القرآن الكريم من مفردات القرآن التي تناولت موضوعات وقضايا هامة، تتعلق بالإيمان بالله ووظيفة الإنسان على هذه الأرض وما يؤدي إلى تربيته تربية صالحة، وأن مفهوم الحكمة وهي مصدر للفعل "حكم" وصيغه المختلفة أتت على معان جديدة اصطلاحية لم تكن معروفة في اللغة العربية، ومن هذه الموضوعات والقضايا التي تناولتها هذه المفردة ما يلي:

١- **النبوّة:** وهي ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله، قال الله تعالى: ﴿**وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ**﴾(٧). وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَآءَ عِيْسَى بِـالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِـالْحِكْمَةِ**﴾(٨).

٢- **وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم:** وهي التعليم والتربية بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيمُ**﴾(٩).

٣- **الإصابة في القول والفعل والفقه في الدين:** قال تعالى: ﴿**يُؤْتِيْ الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيْراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوْ الْأَلْبَابِ**﴾(١٠).

٤- **الموعظة:** وهي ما كان من أمر ونهي بأسلوب رقيق وبطيب الكلام قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِـهِ**﴾(١١)، وقال تعالى: ﴿**اُدْعُ إِلَى سَبِـيْلِ رَبِّكَ بِـالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِـالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ**﴾(١٢).

٧- سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

٨- سورة الزخرف، الآية: ٦٣.

٩- سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

١٠- سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

١١- سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

١٢- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

ونظراً لأهمية هذه المعاني في تربية الإنسان وتهذيبه لأداء وظيفته على هذه الأرض، يرى الباحث أن هذه الموضوعات تستوعب مزيداً من البحث والدراسة في مفردات القرآن الكريم، ومعاني مفردات القرآن لا تنقضي، وقد يظهر للباحث فيها ما هو جديد ونافع.

هدف الدراسة وأسئلتها:

﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِيْ لِلَّتِيْ هِيَ أَقْوَمُ** ﴾(١٣). وهذا سبب للكلام في لغته وبلاغته وفي دلالة ألفاظه، للتعرف على دفائن الحكمة فيه التي حفظته إلى يوم الدين. فتوضيح دفائن المفاهيم التربوية التي جاءت في توجيهات القرآن الكريم والتي تشكّل أساساً ومنطلقاً لتربية الإنسان المسلم، تستدعي من المربي الوقوف عليها لتكسبه مزيداً من العلم والفهم، وبالتالي تكسبه الإصابة في القول والفعل، وخير طريق إلى ذلك هو النظر في مفردات القرآن الكريم ودلالاتها التربوية، ومن هنا تهدف هذه الدراسة الوقوف على الدلالات التربوية لصيغ الفعل " حَكَمَ" في القرآن الكريم. وللوقوف على هذه الأهداف تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما هي الدلالات اللغوية لصيغة الفعل "حكم"؟

٢- ما هي دلالات صيغ الفعل "حكم" في القرآن الكريم؟

٣- ما هي الدلالات التربوية لصيغ الفعل "حكم" في القرآن الكريم؟

محددات الدراسة:

نظراً للدلالات الكثيرة للمفردة القرآنية، وتنوعها بحيث لا تستطيع دراسة محكومة بقواعد النشر في المجلات العلمية أن تستوعبها، فقد اقتصرت هذه الدراسة على الدلالات التربوية لصيغ الفعل "حَكَمَ" في القرآن الكريم بحدود القضايا التالية:

١- الإيمان بالله والمجالات التي تحركت فيها صيغ الفعل "حكم" الدالة على هذا المعنى.

٢- العلم وبيان أن تصريفات الفعل "حكم" ترجع كلها إلى العلم.

٣- الإصابة في القول والفعل والمجالات التي تحركت فيها صيغ الفعل "حكم" الدالة على هذا المعنى.

٤- السلوك المرغوب فيه الذي جاء على صيغة الأمر والنهي في صيغ فعل "حكم".

٥- الأساليب الدعوية التي أشارت إليها صيغ الفعل "حكم".

١٣- سورة الإسراء، الآية: ٩.

منهج الباحث في الدراسة:

حتى يتمكن الباحث من تشكيل إطار عام لمنهجه في الدراسة لاستخلاص الدلالات التربوية وفق هذا المنهج، فقد استخدم الباحث المنهج التحليلي الاستدلالي، الذي يقوم على البحث في الدلالات اللغوية لصيغ الفعل "حكم" في معاجم اللغة، ومعاجم الألفاظ القرآن الكريم ـ لأن القرآن الكريم أحدث معاني في ألفاظه لم تكن معروفة عند العرب ـ مستعيناً بأقوال المفسرين، للوقوف على الموضوعات والقضايا التربوية التي تناولتها صيغ الفعل "حكم" في القرآن الكريم وقد اتبع الباحث في ذلك الإجراءات الآتية:

١- اعتمد الباحث المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للوقوف على الآيات القرآنية التي تضمنت صيغ الفعل "حكم" لتحديد دلالتها.

٢- عاد الباحث إلى عدد من معاجم اللغة العربية، ومعاجم ألفاظ القرآن الكريم للوقوف على معاني صيغ الفعل "حكم" في اللغة، واتبع هذه الطريقة في كل الآيات التي عرضها.

٣- عاد الباحث إلى عدد من تفاسير القرآن الكريم، ومعاجم ألفاظ القرآن، وبعض المراجع والمصادر ذات الاتصال بموضوع البحث، للوقوف على دلالات صيغ الفعل "حكم" وخاصة الدلالات التربوية.

الإجابة عن السؤال الأول: ما هي الدلالات اللغوية لصيغ الفعل "حكم"؟

جاء للفعل "حكم" وتصريفاته المختلفة في كتب المعاجم معانٍ كثيرة، فهو من حروف ثلاثة (ح،ك،م) حَكَمَ يحْكُم حُكْمَاً وحِكْمَةً، فالحكمة مصدر للفعل حكم، والله سبحانه وتعالى هو الحَكَمُ والحِاكمُ والحَكِيمُ وذو الحكْمَة، وهو أحْكَمُ الحَاكِمين، وقد استخدمت العرب هذا الفعل ومشتقاته لمعانٍ كثيرة، يمكن إجمالها بما يلي:

١- **العلم والفقه:** قال الله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً**﴾(١٤)، أي علماً وفقهاً وهو النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام، وكما يقال في المثل "الصمْتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعِلُه"(١٥).

١٤- سورة مريم، الآية: ١٢.

١٥- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد الكريم الغزاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٧٨م، مجلد ٤، ص ١١١.

٢- **القضاء بالعدل:** يقول الأزهري[١٦]: والله سبحانه هو العدل وهو أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿ **فَاصْبِرُوْا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِيْنَ** ﴾[١٧].

٣- **الإصابة والإتقان:** الحكيم المتقن للأمور، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: هو حَكِيمٌ، فهو فعيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ أي مُحْكِمٌ، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾[١٨]. ذكر ذلك الأزهري[١٩]، وابن منظور[٢٠]، والأصفهاني[٢١].

٤- **دعاه ودعوناه:** حاكَمَهُ إلى الحَكَمِ أي دعاه وفي الحديث "وبكَ حاكَمْتُ أي رفَعْتُ الحُكمَ إليك ولا حُكْمَ إلا لك، وحَاكَمْنا فلاناً إلى الله أي دعوناه إلى حُكْم الله"[٢٢].

٥- **المخاصمة إلى الحاكم:** وحَكّمُوه بينهم، أمروه أن يَحْكمَ، ويقال: حَكَّمْنا فلاناً بيننا أي أجزنا حكْمَهُ بيننا[٢٣]. والمحاكمة المُخاصمة إلى الحاكم[٢٤].

٦- **المنع والصد عن الظلم والفساد:** العرب تقول: حَكَمْتُ وأحْكَمْتُ وحكمت أي منعت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حَاكِمٌ لأنه يمنع الظالم من الظلم، ومنه سميت حَكَمَةَ اللجام لأنها ترد الدابة عن كثير من الفساد ويقول الأزهري: روينا عن إبراهيم النخعي أنه قال: حَكِّمَ اليتيم كما تُحَكِّمُ ولدك، أي منعه من الفساد وأصلحه كما تصلح ولدك، وكما تمنعه من الفساد. ذكر ذلك الأزهري[٢٥]، وابن منظور[٢٦]، والأصفهاني[٢٧].

١٦- الأزهري، مصدر سابق، ص١١١.

١٧- سورة الأعراف، الآية ٨٧.

١٨- سورة هود، الآية: ١.

١٩- الأزهري، مصدر سابق: ص ١١٢.

٢٠- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج ١٢، ص ١٤٢.

٢١- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٢٧.

٢٢- ابن منظور، مصدر سابق، ص ١٤٢.

٢٣- ابن منظور، مصدر سابق، ص ١٤٢.

٢٤- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق يحيى خالد توفيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٨م، ط ١، ص ١٤٨.

٢٥- الأزهري، مصدر سابق، ص ١١٢.

٢٦- ابن منظور، مصدر سابق، ص ١٤٣.

٢٧- الأصفهاني، مصدر سابق، ص ١٢٦.

٧- **كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح**: فهي حِكْمَة وحكم، وهو تأويل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنّ من الشعر لحُكْماً وإن من البيان لسحراً"(٢٨). قيل: أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع الناس بها(٢٩).

٨- **والحِكْمَة معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم**(٣٠).

٩- **والحِكْمةُ، بالكسر النُّبوّة**(٣١).

هذا مجمل لاستخدامات صيغ الفعل "حكم" في اللغة، ويلاحظ أن معانيه تدور حول وضع الشيء في موضعه، وصواب الأمر وسداده، وهذا يتطلب العلم والفقه والعدل والدعوة إليه، والأساليب التي تساعدك في تحقيق ذلك.

الإجابة عن السؤال الثاني: ما هي دلالات صيغ الفعل "حَكَمَ" في القرآن الكريم؟

ويقصد بذلك الموضوعات التي تناولتها صيغ الفعل "حكم" في القرآن الكريم، وبعد استطلاع الآيات التي استخدمت الفعل حكم ومشتقاته يرى الباحث أنه استخدم في دلالات كثيرة وهي:

١- **الإصابة في القول والفعل:** قال الله تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْراً كَثِيْراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُو الْأَلْبَابِ**﴾(٣٢). قال ابن الجوزي: "في المراد بهذه الحكمة أحد عشر قولاً، منها الإصابة في القول"(٣٣).

٢- **السنّة:** قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ**﴾(٣٤)، وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِيْ بُيُوْتِكُنَّ مِنْ**

٢٨- محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، دار الريان، القاهرة، ١٩٨٨م، ط ٢، حديث رقم ٦١٤٩.

٢٩- ابن منظور، مصدر سابق،ص ١٤١.

٣٠- ابن منظور، مصدر سابق، ص ١٤٠.

٣١- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

٣٢- سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

٣٣- أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م، ط ٢، ج ١، ص ٢٦٩.

٣٤- سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيْفاً خَبِـيْراً﴾(٣٥). فقد ذكر الزمخشري: أن معنى الحكمة في هذه الآيات القرآن والسنة(٣٦).

٣- **النبوّة:** قال الله تعالى: ﴿**فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيْمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيْماً**﴾(٣٧). وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَآءَ عِيْسَى بِـالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِـالْحِكْمَةِ**﴾(٣٨). قال القرطبي: "منها النبوّة"(٣٩). من معاني الحكمة النبوّة. وقال ابن الجوزي(٤٠): "في المراد من الحكمة أحد عشر قولاً أحدها النبوّة".

٤- **الأوامر والنواهي:** قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوْا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِـهِ وَاتَّقُوْا اللَّهَ وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللَّهَ بِـكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ**﴾(٤١). أي يأمركم وينهاكم ويتوعدكم على المخالفة، كما ذكر القاسمي(٤٢).

٥- **الفقه والفهم:** قال تعالى: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾(٤٣). وقال تعالى: ﴿**فَهَزَمُوْهُمْ بِـإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوْتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ**﴾(٤٤). أي بعد أن أعطاه ملك بني إسرائيل وأعطاه الفهم والنبوة(٤٥). ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾(٤٦).

٣٥- سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

٣٦- أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٧م، ج ٢، ص ١١٢.

٣٧- سورة النساء، الآية: ٥٤.

٣٨- سورة الزخرف، الآية: ٦٣.

٣٩- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، صححه الشيخ هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م، ط ٢، ص ٤٨٠.

٤٠- ابن الجوزي، مصدر سابق، ص ٣٢٤.

٤١- سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

٤٢- محمد جمال القاسمي، **تفسير القاسمي محاسن التأويل**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ط ٢، ج ٣، ص٢٦٨.

٤٣- سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.

٤٤- سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

٤٥- القاسمي، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٠٩.

٤٦- سورة لقمان، الآية: ١٢.

٦- **القصد والاعتدال وإدراك العلل والغايات:** قال تعالى: ﴿**اَلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِـالْفَحْشَآءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيْراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوْ الْأَلْبَاب**﴾(٤٧). فالله لا يعطي المال وحده، ولا يعطي المغفرة وحدها، إنما يعطي كذلك الحكمة، وهي توخي القصد والاعتدال(٤٨).

٧- **العلم:** قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيْماً**﴾(٤٩). هذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف الفضائل والمناقب(٥٠).

٨- **الإصابة في تقديم الحلول للموضوع المختلف فيه:** قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَآءَ عِيْسَى بِـالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِـالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِيْ تَخْتَلِفُوْنَ فِيْهِ فَاتَّقُوْا اللَّهَ وَأَطِيْعُوْنِ**﴾(٥١). وفي الحديث: "كلمة الحِكْمَة ضالّة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق الناس بها"(٥٢).

٩- **السلوك المرغوب:** ومنه الإحسان للوالدين، والإنفاق على المساكين وابن السبيل وذي القربى، وعدم الاعتداء على حياة الناس، ورعاية اليتيم، والوفاء بالعهد وبالكيل والميزان، والعدل، وإجراء البحث مستخدماً أدواته. وهذه من التوجيهات نحو السلوك المرغوب التي ذكرت في سورة الإسراء في الآيات من (٢٢-٣٩)، ويعقب سبحانه وتعالى بعد ذكر هذه التوجيهات بقوله: ﴿**ذَلِكَ مِمَّآ أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِيْ جَهَنَّمَ مَلُوْمًا مَدْحُوْرًا**﴾(٥٣).

١٠- **أسس دعوية:** قال تعالى: ﴿**اُدْعُ إِلَى سَبِـيْلِ رَبِّكَ بِـالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِـالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِـمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِـيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِـالْمُهْتَدِيْنَ**﴾(٥٤). فالحكمة والموعظة والحوار من أسس الدعوة إلى دين الله.

٤٧- سورة البقرة، الآيات: ٢٦٨-٢٦٩.

٤٨- سيد محمد قطب، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٥٨.

٤٩- سورة النساء، الآية: ١١٣.

٥٠- القاسمي، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٥٣.

٥١- سورة الزخرف، الآية: ٦٣.

٥٢- محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، حديث رقم ٢٦٨٧.

٥٣- سورة الإسراء، الآية: ٣٩.

٥٤- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

١١- **الحجج اليقينية والبراهين العقلية:** قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوْا وَيَقُوْلُوْا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَآءِ مَا فِيْهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ**﴾(٥٥). يقول القاسمي في تفسير هذه الآيات: حكمةً بالغةً أي بلغت غايتها من الإحكام والتنزّه عن الخلل، ومن الاشتمال على البراهين القاطعة والحجج الساطعة(٥٦).

١٢- **خطاب الله الواجب الاتباع:** قال تعالى: ﴿**مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوْهَآ أَنْتُمْ وَآبَآؤُكُمْ مَآ أَنْزَلَ اللَّهُ بِـهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوْا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ**﴾(٥٧). وقال تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ حَتَّى يُحَكِّمُوْكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُـمَّ لاَ يَجِدُوْا فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوْا تَسْلِيْماً**﴾(٥٨). وقال تعالى: ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُوْنَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيْهَا حُكْمُ اللَّهِ**﴾(٥٩).

١٣- **القرآن الكريم والسنّة:** قال الله تعالى: ﴿**يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيْمِ**﴾(٦٠). هذا قسم من الله بالقرآن الحكيم الذي وصفه الحكمة، وهي وضع كل شيء موضعه، وضع الأمر والنهي في المكان اللائق بهما، ووضع الجزاء بالخير والشر في محلهما اللائق بهما، فأحكامه الشرعية والجزائية كلها مشتملة على غاية الحكمة، ومن حكمة هذا القرآن أنه يجمع بين ذكر الحكم وحكمته فينبه العقول على المناسبات والأوصاف المقتضية لترتيب الحكم عليها(٦١). وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِيْ بُيُوْتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾(٦٢). يقول ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: **مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**: "هي علوم القرآن"(٦٣). وقال تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ**

٥٥- سورة القمر، الآيات: ٢-٥.

٥٦- القاسمي، مصدر سابق، ج ١٥، ص ٢٦٤.

٥٧- سورة يوسف، الآية: ٤٠.

٥٨- سورة النساء، الآية: ٦٥.

٥٩- سورة المائدة، الآية: ٤٣.

٦٠- سورة يس، الآيات: ١-٢.

٦١- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ط ١، ص ٦٩٢.

٦٢- سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

٦٣- الأصفهاني، مصدر سابق، ص ١٢٨.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٦٤). فالحكمة هي السنّة وبيان الشرائع، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾(٦٥). قال القرطبي: "أخبرنا ثابت بن عجلان الأنصاري قال: "كان يقال أن الله ليريد العذاب بأهل الأرض فإذا سمع تعليم المعلم الصبيان لحكمة صرف ذلك عنهم"، قال مروان: يعني الحكمة القرآن"(٦٦). وقال ابن الجوزي في تفسير ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَآءُ﴾: "في المراد بالحكمة أحد عشر قولاً، أحدها أنها القرآن"(٦٧).

الإجابة عن السؤال الثالث: ما هي الدلالات التربوية لصيغ الفعل "حكم" في القرآن الكريم؟

تتناول صيغ الفعل حكم عناصر العملية التربوية التي تدور حول تربية المسلم تربية صالحة، فهي تشير إلى مصدر المعرفة من عالم الغيب وهي النبوة، وإلى ما جاء عن طريق الأنبياء، وتشير إلى العلم وفهمه، وإلى السلوك المربّي للمسلم، كما تشير إلى الحجج والبراهين العقلية، والسلوك الوسط الذي لا يكون إلاّ صواباً سواءً أكان في القول أم في الفعل، وسوف يتناول الباحث هذه العناصر التي دلت عليها صيغ الفعل "حكم".

١ـ الإيمان بالله:

قضية الإيمان بالله هي قضية الإنسان التي لا تتغير على توالي الأزمان، فالإيمان بالله يفسر له سر وجوده في هذا الكون، وعلاقته بخالق الكون، فالقرآن الكريم يقول للإنسان من هو؟ ومن أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وما هذا الوجود الذي يحسه ويراه؟ فمنهج التربية الإسلامية قائم على أساس استقرار حقيقة الإيمان بالله في نفس الإنسان، وهي أول ما يجب أن يقوم به الإنسان، لهذا فالإيمان بالله هو المكون الأول والأساس لمنهج التربية الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٦٨). فكان أول دواعي الحكمة التي أوتيها لقمان الإيمان بالله والدعوة له وعدم الشرك به، ويمكن الإشارة إلى الإيمان بالله ضمن المجالات الآتية:

٦٤- سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

٦٥- سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

٦٦- القرطبي، مصدر سابق، ص ٢٣٧.

٦٧- ابن الجوزي، مصدر سابق، ص ٣٢٤.

٦٨- سورة لقمان، الآيتان: ١٢-١٣.

(أ) عبادة الله:

قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُـمَّ يَقُوْلَ لِلنَّاسِ كُوْنُوْا عِبَاداً لِيْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُوْنُوْا رَبَّانِيِّيْنَ بِـمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُوْنَ الْكِتَابَ وَبِـمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُوْنَ**﴾(٦٩). أي يمتنع ويستحيل على بشر منّ الله عليه بإنزال الكتاب وتعليمه ما لم يكن يعلم، أن يطلب من الناس عبادته من دون الله، بل من أوتي الكتاب والحكمة يدعوهم إلى معالي الأمور بأن يكون ربانيين علماء حكماء معلمين للناس ومربين لهم، عاملين بالعلم الذي وهبه الله لهم، وبدراستهم لكتاب الله وسنته(٧٠).

(ب) تحكيم شرع الله:

قال تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ حَتَّى يُحَكِّمُوْكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُـمَّ لاَ يَجِدُوْا فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوْا تَسْلِيْماً**﴾(٧١). يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكّموا رسوله فيما شجر بينهم أي في كل شيء يحصل فيه اختلاف، ولا يكفي ذلك حتى يسلّموا لحكمه تسليماً بانشراح صدر وطمأنينة نفس وانقياد بالظاهر والباطن. يقول القرضاوي(٧٢) في معنى قوله تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً**﴾(٧٣): "رفض الخضوع لكل حكم غير حكم الله، وكل أمر غير أمر الله، وكل نظام غير نظام الله، وكل قانون غير شرع الله، وكل وضع أو عرف أو تقليد أو منهج أو فكرة أو قيمة لم يأذن بها الله، ومن قبل شيئاً من ذلك حاكماً كان أو محكوماً بلا إذن من الله وسلطان، فقد أبطل عنصراً أساسياً من عناصر التوحيد، لأنه ابتغى غير الله حكماً، والحكم والتشريع من حق الله وحده، لهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوْا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ**﴾"(٧٤).

٦٩- سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

٧٠- السعدي، مصدر سابق، ص ٣٢٦.

٧١- سورة النساء، الآية: ٦٥.

٧٢- يوسف القرضاوي، **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده**، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٩٣م، ط ١.

٧٣- سورة الأنعام، الآية: ١١٤.

٧٤- سورة يوسف: الآية: ٤٠.

(ج) النبوّة:

من المعلوم في منهج التربية الإسلامية أن للمعرفة مصدرين: الوحي من عالم الغيب، والعقل بأدواته من عالم الشهادة، ونظراً لأن العقل بأدواته لا يستطيع أن يتعامل مع الغيب، فمن رحمة الله أن جعل النبوة حلقة اتصال مع عالم الغيب، والعقل يستطيع أن يتعامل مع الأنبياء، ويصدقهم فيما يقولون، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ أُوْتُوْا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُوْنَ بِـالْجِبْتِ وَالطَّاغُوْتِ وَيَقُوْلُوْنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا هَؤُلآءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا سَبِـيْلاً أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيْرًا أَمْ لَهُمْ نَصِيْبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُوْنَ النَّاسَ نَقِيْرًا أَمْ يَحْسُدُوْنَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتَاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيْمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيْمًا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِـهِ وَمِنْهُم مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِـجَهَنَّمَ سَعِيْرًا**﴾[٧٥]. فهل الذي حملهم أن يقولوا للذين كفروا أنتم أهدى من الذين آمنوا أنهم شركاء لله أم الحامل على ذلك الحسد للرسول وللمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله فقد أنعم الله على إبراهيم وذريته بالنبوّة، والكتاب، والملك الذي أعطاه لمن أراد من أنبيائه، فمن أهل الكتاب من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من صدّ عنه عناداً وحسداً، وكفى بجهنم لهؤلاء المكذبين[٧٦].

٢ـ العلم:

لقد تحركت صيغ الفعل "حكم" في مجال العلم بصورة واضحة وواسعة، وتشير معاني هذه الصيغ أن محورها الرئيس هو العلم، قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**﴾[٧٧]. أي أن الله أنزل عليك هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه علم الأولين والآخرين، وعلّمك ما لم تكن تعلم. وهذا يشمل جميع ما علّمه الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم الذي كان كما وصفه القرآن الكريم: ﴿**مَا كُنْتَ تَدْرِيْ مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيْمَانُ**﴾[٧٨]. وقال تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَى**﴾[٧٩]، لم يزل يوحي الله إليه ويعلمه ويكمله حتى ارتقى مقاماً من العلم

٧٥- سورة النساء، الآيات: ٥١-٥٤.

٧٦- السعدي، مصدر سابق، ص ١٨٢.

٧٧- سورة النساء، الآية: ١١٣.

٧٨- سورة الشورى، الآية: ٥٢.

٧٩- سورة الضحى، الآية: ٦.

يتعذر وصوله على الأولين والآخرين، فكان أعلم الخلق على الإطلاق(٨٠). وقال تعالى: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِيْ حُكْماً وَأَلْحِقْنِيْ بِـالصَّالِحِيْنَ** ﴾(٨١). وهذا دعاء من إبراهيم عليه السلام ربه أن يهبه علماً كثيراً، يعرف به الحلال والحرام كما يعرف به الأحكام، وهذا يدل على أن العلم أشرف الفضائل والمناقب(٨٢).

ونقل المورعي: أن ابن العربي قال: "اعلموا أن بعض المحققين من علمائنا قالوا: أن حروف "ح ك م" كيف ما تصرفت إنما ترجع إلى العلم، والفعل نوع من العلم، والسنّة نوع من العلم، والعلم بالله والنبوة علم شريف، واجتماع العلم والعمل علم، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"(٨٣). وقول المتكلم الحكمة ما وقع بقصد فاعله إشارة إلى أن الفعل الواقع على وفق الإرادة يسمى حكمة لأنه لا يقع كذلك إلا موافقاً للعلم(٨٤).

ويقول محمد رشيد رضا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْراً كَثِيْراً** ﴾(٨٥). أن الله قرن الخير الكثير مع الحكمة فهما لا يفترقان، كما لا يفترق المعلول عن علته التامة فالحكمة هي العلم الصحيح المحرك للإرادة إلى العمل النافع الذي هو الخير، وآلة الحكمة هي العقل السليم المستقل بالحكم في مسائل العلم فهو لا يحكم إلا بالدليل فمتى حكم جزم فأمضى وأبرم فكل حكيم عليم عامل مصدر للخير الكثير(٨٦).

٣ـ الإصابة في القول والفعل:

قال الطبري في تفسيره للحكمة: هي الإصابة في القول والفعل، والإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة، وإذا كان كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره مفهماً خاشياً لله فقيهاً عالماً، وكانت النبوة من أقسامه لأن الأنبياء مسددون مفهمون وموفقون لإصابة الصواب

٨٠- السعدي، مصدر سابق، ص ٩٢٨.

٨١- سورة الشعراء، الآية: ٨٣.

٨٢- القاسمي، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٤٥٣.

٨٣- البخاري، مصدر سابق، حديث رقم ٢٢٩٥.

٨٤- أحمد بن نافع بن سليمان المورعي، **الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنّة**، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٩٧م، ط ١، ص ٢١٩.

٨٥- سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

٨٦- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم **(تفسير المنار)**، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٧٧.

في الأمور، والنبوة بعض معاني الحكمة، فتأويل الكلام: يؤتي الله إصابة في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد أوتي خيراً كثيراً(٨٧). ويمكن الإشارة إلى الصواب في القول والفعل في دلالات صيغ الفعل "حكم" في المجالات التالية:

أ ـ في الفهم والفقه:

قال الله تعالى: ﴿ **وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيْهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِيْنَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِيْنَ** ﴾(٨٨). والناس متفاوتون في درجات الفهم، والفهم هو معرفة الشيء وتصوره من اللفظ والعلم به، والفقه أوسع معنى من الفهم، وهو إدراك غرض المتكلم من كلامه. فالله سبحانه وتعالى يشير في هاتين الآيتين إلى أنه آتى داود وسليمان العلم الواسع والحكم بين العباد، فقد أورد ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين: أن غنماً أفسدت زرعاً بالليل فعرض الأمر على النبي داود عليه السلام فقضى بالغنم لأصحاب الحرث، وعرض الأمر على النبي سليمان عليه السلام فقضى أن تؤخذ الغنم فتدفع إلى أصحاب الزرع فيكون لهم أولادها وألبانها ومنافعها ويبذر أصحاب الغنم لأهل الزرع مثل زرعهم فيعمروه ويصلحوه، فإذا بلغ الزرع الذي كان عليه ليلة نفشت فيه الغنم أخذه أصحاب الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها"(٨٩). علماً أن الله سبحانه وتعالى قد آتى كلاً منهما حكمة وعلماً كثيراً، لكن سليمان عليه السلام كان لكمال فهمه للقضية وفطنته يصيب الحق بحكمه، وهو فضل من الله لما أعطاه من العلم والحكمة.

ويقول الأصفهاني(٩٠): "الحكمة إصابة الحق بالعلم، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام". ويقول الغزالي: في كتابه **خلق المسلم** تحت عنوان "العلم والعقل" أن حقائق هذا الدين من أصول وفروع ليست طقوساً تنقل بالوراثة أو تعاويذ تشيع بالإيماء، كلاّ إنها حقائق تستخرج من كتاب حكيم ومن سنّة واعية، وسبيل استخراجها لا يتوقف على القراءة المجردة، بل لابد من أمة تتوافر فيها الأفهام الذكية والأساليب العالية والآداب الكريمة، ولا شك أن

٨٧- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن**، تحقيق أحمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢م، ط ٢، ج ٥، ص ٨٩-٩٠.

٨٨- سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٨-٧٩.

٨٩- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨١م، ط ٣، ص ٥١٦-٥١٧.

٩٠- الأصفهاني، مصدر سابق، ص ١٢٧.

مدارسة مناهج الإسلام تخلق في أي أمة تعنى بها جواً من الفقه التشريعي، وجواً من البحث الصحيح والاجتهاد المخلص، لمد رواق الإسلام على ما تفد به الأمصار من أقضية شتى وشؤون متجددة(٩١).

ب ـ القصد والاعتدال وإدراك العلل والغايات:

قال الله تعالى: ﴿**يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَنْفِقُوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوْا الْخَبِيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُوْنَ وَلَسْتُمْ بِـآخِذِيْهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوْا فِيْهِ وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِـالْفَحْشَآءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيْراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُو الْأَلْبَابِ**﴾(٩٢).

يأمر الله عباده المؤمنين بالنفقة من طيبات ما كسبوا، ولا يتقصدوا الرديء مما كسبوا فينفقون منه فالله غنيٌ عن ذلك، ويعلمهم أن ما يثير في نفوسهم الحرص والشح والتكالب على الدنيا إنما هو الشيطان، فالشيطان يأمركم بالفحشاء وهي كل معصية تتجاوز الحد، ففي الجاهلية كان الخوف من الفقر يدعوهم إلى وأد البنات وهو فاحشة، والحرص على جمع الثروة كان يؤدي ببعضهم إلى أكل الربا وهو فاحشة، والخوف من الفقر بسبب الإنفاق في سبيل الله هو فاحشة.

ويقول سيد قطب: والله لا يعطي المال وحده، ولا يعطي المغفرة وحدها، إنما يعطي الحكمة، وهي توخي القصد والاعتدال وإدراك العلل والغايات ووضع الأمور في نصابها في تبصر ورؤية وإدراك، ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيْراً**﴾ فهو أوتي القصد والاعتدال فلا يفحش ولا يتعدى الحدود، وأوتي إدراك العلل والغايات فلا يضل في تقدير الأمور، وأوتي البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال وذلك خير كثير متنوع الألوان(٩٣).

ويذكر السعدي: ولما أمر الله تعالى بهذه الأوامر العظيمة المشتملة على الأسرار والحكم، وكان ذلك لا يحصل لكل أحد، بل لمن منّ الله عليه وآتاه الله الحكمة، وهي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، فكمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية، فالعلمية معرفة الحق ومعرفة المقصود به، وقوته العملية، العمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره(٩٤).

٩١- محمد الغزالي، **خلق المسلم**، دار البيان، الكويت، ١٩٧٠م، ط ٧، ص ٢٦٤.

٩٢- سورة البقرة، الآيات: ٢٦٧-٢٦٩.

٩٣- سيد قطب، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٥٨.

٩٤- السعدي، مصدر سابق، ص ١١٥.

ج ـ الإصابة في الحكم وهي العدل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوْا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوْا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيْعاً بَصِيْراً﴾(٩٥)، وقال تعالى: ﴿سَمَّاعُوْنَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُوْنَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَآءُوْكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوْكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ﴾(٩٦). في الآية الأولى يطلق النص العدل الشامل بين الناس جميعاً، لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، ولا عدلاً مع أهل الكتاب دون سائر الناس، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه إنساناً، وصفة الناس هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعاً مؤمنين وكفاراً أصدقاء وأعداء سوداً وبيضاً عرباً وعجماً. فأما النص الثاني فهو متعلق بآية سابقة ﴿مِنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا سَمَّاعُوْنَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُوْنَ لِقَوْمٍ آخَرِيْنَ﴾(٩٧). فالنص يفيد وجوب العدل ولا يمنعك إن كانوا ظلمة وأعداء، وهذا فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس وأن الله تعالى يحب ذلك(٩٨).

هاتان الآيتان وغيرهما تبيّن وظيفة الأمة المسلمة في الأرض من إقرار مبادئ العدل والخلق على أساس منهج الله القويم السليم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوْا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوْا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيْعاً بَصِيْراً﴾(٩٩). يقول الدكتور الكيلاني: لماذا يحتل العدل هذه المنزلة في أهداف منهاج تعليم الكتاب والحكمة؟ لأن العدل يزكي البيئة من أسباب الكفر والمعصية والفتنة ويهيئ للناس الحاجات الأساسية، وحاجاتهم في الأمن والمحبة والاحترام والانتماء وتحقيق الذات، مما يجعلهم يتفرغون للتفكر في الخلق الموصل إلى معرفة الله الخالق والإيمان به(١٠٠). وهذا من متطلبات إنشاء الأمة وتنشئتها بهذا المنهج القويم منهج الله.

٩٥- سورة النساء، الآية: ٥٨.

٩٦- سورة المائدة، الآية: ٤٣.

٩٧- سورة المائدة، الآية: ٤٢.

٩٨- السعدي، مصدر سابق، ص ٢٣٢.

٩٩- سورة النساء، الآية: ٥٨.

١٠٠- ماجد عرسان الكيلاني، **مناهج التربية الإسلامية والمربّون العاملون فيها**، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٥م، ط ١، ص ٣٠١.

د ـ الإصابة في الحجج والبراهين العقلية:

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوْا وَيَقُوْلُوْا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوْا وَاتَّبَعُوْا أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَآءِ مَا فِيْهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾(١٠١). هؤلاء المكذبون بالساعة لم يزالوا مكذبين بها رغم ما يريهم الله من الآيات الدالة على وقوعها والتي على مثل هذه الآيات يؤمن البشر، فهم مكذبون وإن يروا آية يعرضوا فهم لن يؤمنوا لأن قصدهم ليس اتباع الحق والهدى بل اتباع الهوى، فلو كان قصدهم البحث عن الحقيقة لآمنوا بعد أن أراهم الله على يدي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من البيّنات والبراهين والحجج القواطع الدالة على المطالب الشرعية ومقاصدها. ولقد جاءهم من الأخبار السابقة واللاحقة والمعجزات الظاهرة ما فيه مزدجر عن غيّهم وضلالهم وهذه حكمة من الله بالغة، إذ لا يبقي لأحد على الله حجة، هذه البراهين والحجج القاطعة حكمة بالغة أي بلغت غايتها من الإحكام والتنزّه عن الخلل ومن الاشتمال على البراهين القاطعة والحجج الساطعة(١٠٢).

٤- السلوك المرغوب وهو ما جاء على صيغة الأوامر والنواهي:

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّآ أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِيْ جَهَنَّمَ مَلُوْماً مَدْحُوْراً﴾(١٠٣). هذه الآية جاءت تعقيباً على ما جاء في آيات سابقة من ٢٢-٣٩ من سورة الإسراء، والتي بدأت بقوله تعالى: ﴿لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوْماً مَخْذُوْلاً﴾(١٠٤). فإن هذه الآيات تضمنت قواعد للسلوك والآداب والتكاليف الفردية والاجتماعية، وجاءت على صيغة أوامر ونواهي وتكاليف وهي بالتالي سلوك مرغوب فيه.

فبدأت هذه الأوامر والتكاليف في برّ الوالدين، وإيتاء ذى القربى وتحريم القتل من غير حق، ورعاية مال اليتيم، والوفاء بالعهد، وتوفية الكيل والميزان، والتثبت من الحق باستخدام العلم، والنهي عن الخيلاء والكبر، كل هذه التوجيهات بدأت وختمت بالنهي عن الشرك بالله، لبيان أن بناء الحياة السليمة لا يتم إلا على عقيدة التوحيد وعبادة الله. وتختم هذه الأوامر والنواهي بقوله تعالى:

١٠١- سورة القمر، الآيات: ١-٥.

١٠٢- القاسمي، مصدر سابق، ج ١٥، ص ٢٦٤.

١٠٣- سورة الإسراء، الآية: ٣٩.

١٠٤- سورة الإسراء، الآية: ٢٢.

﴿ذَلِكَ مِمَّآ أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِيْ جَهَنَّمَ مَلُوْمًا مَدْحُوْرًا﴾(١٠٥). هو ختام يشبه الابتداء، ببيان أن هذه التوجيهات بعض الحكمة التي يهدي إليها القرآن الكريم. ويذكر القرضاوي: إن البشر في حاجة إلى توجيه إلهي يجنّبهم الضلال في الفكر، والغي في السلوك، فكثيراً ما زينت للبشر عقولهم القاصرة جرائم بشعةً وغوايات شنيعة، فالعرب في الجاهلية يئدون البنات، والهنود والرومان وغيرهم يقسمون الناس إلى طبقات، يجوز لطبقة ما لا يجوز لغيرها، ووجدنا في عصرنا من يجيز زواج الرجال بالرجال، وتصدر بذلك قوانين ويبارك ذلك بعض رجال الدين في الغرب المتحضر المتقدم(١٠٦).

ويرى الباحث أن يشير هنا إلى معنى عظيم أتت عليه إحدى هذه التوجيهات هو من الحكمة وذلك ببيان علاقة هذا المعنى في التربية وقيمته لها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُوْلاً﴾(١٠٧). فقد ذكر الزمخشري: "والمراد النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم، ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولاً ظاهراً، لأنه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده"(١٠٨). ويقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: "هذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة، فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق، لا يبقى فيه مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم"(١٠٩). والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن الكريم تبعتها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤاده أمام واهب السمع والبصر والفؤاد.

١٠٥- سورة الإسراء، الآية: ٣٩.

١٠٦- القرضاوي، مصدر سابق، ص ١٤٠.

١٠٧- سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

١٠٨- الزمخشري، مصدر سابق، ص ٢٣٢.

١٠٩- سيد قطب، مصدر سابق، ص ٤٦٠.

ويقول القرطبي: "الإشارة إلى هذه الآداب والقصص والأحكام التي تضمنتها هذه الآيات، أن هذه من الأفعال المحكمة التي تقتضيها حكمة الله عز وجل في عباده، وخلقها لهم من محاسن الأخلاق والحكمة، وقوانين المعاني المحكمة والأفعال الفاضلة"(١١٠).

٥ـ أساليب دعوية:

تتلخص مشكلة الدعوة إلى الله في أمرين: الأول إلى ماذا ندعو؟ والثاني كيف ندعو؟ وقد بين الإسلام هذين الأمرين في صورة واضحة على النحو التالي:

١- الأمر الأول: إلى ماذا ندعو؟ قال الله تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّيْنِ مَا وَصَّى بِـهِ نُوْحًا وَالَّذِيْ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِـهِ إِبْرَاهِيْمَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى أَنْ أَقِيْمُوْا الدِّيْنَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوْا فِيْهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ مَا تَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ ... فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ**﴾(١١١).

٢- الأمر الثاني: كيف ندعو؟ قال الله تعالى: ﴿**اُدْعُ إِلَى سَبِـيْلِ رَبِّكَ بِـالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِـالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ**﴾(١١٢).

فالدعوة إلى دين الله هي دعوة إلى تعلم هذا الدين، وما تدعو إليه هو نور فيه وبه يتم اكتساب السلوك المطلوب، وهو الاستقامة وهو ما يدعو الله إليه؟ والحكمة هي من هذا النور، فالعلم والفهم ومعرفة الأحكام وحكمتها والإصابة في القول والفعل والعدل في ذلك، هذه المعاني من معنى الحكمة، تحدث العظة والعبرة الباعثة على الامتثال، امتثال أمر الله وهو الصراط المستقيم، صراط الله، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوْحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِيْ مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيْمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوْرًا نَهْدِيْ بِـهِ مَنْ نَشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِيْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾(١١٣).

وقد ذكر الله أنه آتى لقمان الحكمة وذلك في قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ**﴾(١١٤)، ومن آثار الحكمة التي آتاها الله

١١٠- القرطبي، مصدر سابق، ص ٢٣٧-٢٦٤.

١١١- سورة الشورى، الآيات: ١٣، ١٥.

١١٢- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

١١٣- سورة الشورى، الآيتان: ٥٢-٥٣.

١١٤- سورة لقمان، الآية: ١٢.

آتاها الله لقمان ظهر ذلك في وصيته لابنه، والتي تشير إلى أدب الداعية إلى الله، فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس، والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿**وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ**﴾(١١٥). وقد نهى الله عن الخيلاء والتكبر في المشي، وتجاوز الإنسان قدره والبطر فقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُوْلاً**﴾(١١٦)، وهذا وغيره من الحكمة التي أوحاها الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿**ذَلِكَ مِمَّآ أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِيْ جَهَنَّمَ مَلُوْماً مَدْحُوْراً**﴾(١١٧)، والآية الأخيرة جاءت تعقيباً على الأوامر والنواهي التي وردت في سورة الإسراء من الآية ٢٣-٣٩.

وقال محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: ﴿**كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُوْلاً مِنْكُمْ يَتْلُوْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُوْنُوْا تَعْلَمُوْنَ**﴾(١١٨): "ومن تفصيل في معنى الحكمة أن القرآن الكريم دعا إلى التوحيد وأمهات الفضائل، ولكنه لم يفصل في كثير من الأمور، وذلك أن هذه الأمور ينبغي أن تؤخذ بالأسوة والعمل بعد معرفة القواعد العامة، التي جاءت في الكتاب، ولذلك كانت السنّة هي المبيّنة لذلك بالتفصيل بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في بيوته، ومع أصحابه، في السلم والحرب، والسفر والإقامة، وفي حال الضعف والقوة والكثرة، فالسنة العملية المتواترة هي المبينة للقرآن بتفصيل مجمله، وبيان مبهمه، وإظهار ما في أحكامه من الأسرار والمنافع، ولهذا أطلق عليها لفظ الحكمة، فإنها كانت كالحكمة لتأديب الفرس، ولولا هذه التربية العملية لما كان الإرشاد القولي كافياً في انتقال الأمة العربية من طور الشتات والفرقة والعداء والجهل والأمية إلى الائتلاف والاتحاد والتآخي والعلم وسياسة الأمم، فالسنة هي التي علمتهم كيف يهتدون بالقرآن، ومرنتهم على العدل والاعتدال في جميع الأحوال"(١١٩).

١١٥- سورة لقمان، الآية: ١٨.

١١٦- سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

١١٧- سورة الإسراء، الآية: ٣٩.

١١٨- سورة البقرة، الآية: ١٥١.

١١٩- محمد رشيد رضا، مصدر سابق، ص ٣٠.

ومن معاني الحكمة الوصول إلى أفضل الأشياء بأفضل العلوم، أي تحقيق أفضل الأهداف بأفضل الأساليب، فقد ذكر مكانسي: كيف خاطب إبراهيم عليه السلام أباه وهو يدعوه إلى الإيمان قال تعالى: ﴿**يَآ أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِيْ عَنْكَ شَيْئاً يَآ أَبَتِ إِنِّيْ قَدْ جَآءَنِيْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيْ أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا يَآ أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا يَآ أَبَتِ إِنِّيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَانِ فَتَكُوْنَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾(١٢٠)، فهو محب لأبيه الخير فتلطف معه واستخدم معه اللين، والرفق بقوله: يا أبت، وقد كررها وهذا يسهل الدخول إلى قلوب الناس(١٢١). ويقول فتحي يكن: إن وظيفة الدعاة إلى الله دقيقة وحسّاسة وتتطلب كثيراً من اللباقة والحكمة، إن الإسلام في هذا الزمن بحاجة إلى دعاة يحسنون عرض أفكاره ومبادئه بأسلوب شيّق، جذاب ..... يحببون بالإسلام فلا ينفرون منه، ويوضحون أفكاره فلا يعقدونها وكم من أدعياء شوهوا الإسلام بسوء أسلوب دعوتهم وأساؤوا إليه وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً(١٢٢).

الاستنتاجات:

في ضوء الإجابة عن أسئلة الدراسة خلص الباحث إلى الاستنتاجات الآتية:

١- أنَّ المفردة القرآنية ذات قدرة واسعة على الحركة في مجالات كثيرة.

٢- أنَّ المفردة القرآنية تناولت موضوعات مختلفة وقضايا هامة.

٣- أنَّ الموضوعات التي تناولتها صيغ الفعل "حَكَمَ" في القرآن الكريم كثيرة، ولكنها متكاملة كأن عناصر الإسلام قد اجتمعت في معانيها.

٤- لقد تنوع الخطاب القرآني في صيغ الفعل "حَكَمَ" في الدليل والأسلوب ولكنه كان نمطاً واحداً في الإبداع والإعجاز.

٥- لقد تناولت صيغ الفعل "حَكَمَ" الكفاية الأولى لتربية الإنسان المسلم وهي الإيمان بالله تعالى في مجالات مختلفة من عبادة الله وتحكيم شرعه، والإشارة إلى مصدر المعرفة من عالم الغيب وهو النبوة.

٦- أنَّ ما أشارت إليه صيغ الفعل "حَكَمَ" من سلوكات مرغوب فيها ارتبطت بالإيمان بالله.

١٢٠- سورة مريم، الآيات: ٤٢-٤٥.

١٢١- عثمان قدري مكانسي، **من أساليب التربية في القرآن الكريم**، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠١م، ط ١، ص٣٠٧-٣١٤.

١٢٢- فتحي يكن، **مشكلات الدعوة والداعية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، ص ١١٩.

٧- جميع المجالات التي تحركت فيها صيغ الفعل "حَكَمَ" تعود إلى العلم، فالفعل علمٌ واجتماع العمل والعلم علم.

٨- لقد أشارت صيغ الفعل "حكم" إلى الإصابة في القول والفعل المبنيّة على الفهم والفقه مع إدراك العلل والغايات، المؤيّدة بالحجج والبراهين.

٩- لقد أشارت صيغ الفعل "حكم" إلى منهج الدعوة إلى الله وذلك بالدعوة إلى الله بأسلوب حكيم.

* * * *